تطور الدرس البلاغي في مدرسة النجف الاشرف
الدرس الحوزوي أنموذجا
The Evolution of Rhetoric Classin Najaf School Seminary (Hwzwy)Lesson as a Study Sample

م.د خولة مهدي الجراح
كلية الفقه / جامعة الكوفة
Dr.Khawla Mahdi Shaker Al-Jarah
College of Jurisprudence , University of Kufa

ملخص البحث

يعد المنهج الدراسي من أهم الوسائل التي تساعد المربي في تحقيق الأهداف التربوية ، ولابد لهذا المنهج من أن يكون معدا إعدادا سليما وواضحا للملتقي كي يساعده على التطور والرقي لمراحل متطورة فيما بعد.ولابد لكل منهج من المناهج الدراسية من أهداف يرجى التوصل إليها باستخدام عدة طرق وأساليب تخص المؤسسة التعليمية تارة وعلوم تخص المادة العلمية تارة أخرى .وقد سلّط البحث الضوء على منهج الدرس البلاغي في الحوزة العلمية لما أشيع أنه قد أهمل.وبذلك سوف تكون خطة البحث مرتسمة على ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول هدف الحوزة العلمية في النجف الاشرف حيث ألقيت الضوء على الهدف الرئيس للحوزة وهو إعداد جيل من المجتهدين يتمكنون من استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه المراحل الدراسية في الحوزة العلمية حيث قام البحث بسبر المراحل الدراسية الثلاث،المقدمات، والسطوح، والبحث الخارج، وقد سلّط البحث الضوء على مرحلة المقدمات وخصوصا الدرس البلاغي.ثم تناول البحث الدرس البلاغي بين الحوزة والأكاديمية في المبحث الأخير.

Abstract

Curriculum is the most important means which helps the educator achieve the educational objectives. Therefore, the curriculum must be set up properly and clearly for the recipient in order to develop and promote him later in the advanced stages. Every curriculum must include certain objectives to be achieved by using several methods, which are directed at the educational institution on one hand and sciences that concern the study materials on the other hand .The current study sheds light on the subject of rhetoric in Hawza 'Ilmiyya because it is spread that curriculum design has been neglected there. According to the procedure of the following study, the research is divided into three sections. The first section explains the objectives of Hawza 'Ilmiyya in Najaf .One major objective is to train clerics to become mujtahid, a person who can derive laws from detailed Islamic sources on his/her own), depending on one's intellectual abilities .The second section deals with the stages that one goes through in Hawza, such as muqadamat' (introductory studies), sutooh (intermediary-advanced studies),and darskharij (advanced-Independent studies).The research sheds light on the stage of muqadamat', in particular the Rhetoric subject . The last section tackles Rhetoric in Hawza and academia.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد ...

يعد المنهج الدراسي من أهم الوسائل التي تساعد المربي في تحقيق الأهداف التربوية ، ولابد لهذا المنهج من أن يكون معدا إعدادا سليما وواضحا للملتقي كي يساعده على التطور والرقي لمراحل متطورة فيما بعد .

ولابد لكل منهج من المناهج الدراسية من أهداف يرجى التوصل إليها باستخدام عدة طرق وأساليب تخص المؤسسة التعليمية تارة وعلوم تخص المادة العلمية تارة أخرى .

وحتى نتمكن من التحدث عن المنهج الدراسي في مدرسة النجف الاشرف (الحوزة العلمية)لابد من أن نستعيد بعض أهدافها لنرى كيف وضعت المناهج ، وهل هي تحقق الوصول للأهداف المرجوة أم لا ؟

وقد سلّط البحث الضوء على منهج الدرس البلاغي في الحوزة العلمية لما أشيع أنه قد أهمل وبذلك سوف تكون خطة البحث مرتسمة على ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول هدف الحوزة العلمية في النجف الاشرف حيث ألقيت الضوء على الهدف الرئيس للحوزة وهو إعداد جيل من المجتهدين يتمكنون من استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه المراحل الدراسية في الحوزة العلمية حيث قام البحث بسبر المراحل الدراسية الثلاث،المقدمات، والسطوح، والبحث الخارج، وقد سلّط البحث الضوء على مرحلة المقدمات وخصوصا الدرس البلاغي.

ثم تناول البحث الدرس البلاغي بين الحوزة والأكاديمية في المبحث الأخير وقد اعتمدت فيه على لقاء خاص مع الأستاذ المساعد الشيخ الدكتور جواد الشيخ أحمد كاظم البهادلي لخبرته الحوزوية والأكاديمية .

المبحث الأول : هدف الحوزة العلمية في النجف الاشرف :

تعد الحوزة العلمية مزرعة علماء الدين ومنبت رجال الفقه،لذلك فهي تسعى لتحقيق عدة أهداف أهمها:

١- حفظ الدين وبيانه، فلولا جهود الحوزات العلمية لما بقي من الدين والحقائق الدينية شيء، فبقاء الدين مرهون للجهود العلمية للحوزات.

٢- تقوية الالتزام الديني لدى الناس، فمن هذه الحوزات نهض العلماء المبلغون يروجون ويرسخون القيم الدينية بين الناس، كما تمكنوا من توجيه المجتمع توجيها فكريا.

٣- كان للحوزات العلمية وعلى طوال التاريخ تأثيرٌ في المسائل السياسية، ويجد البحث أن هذا أحد أهدافها؛ للعلاقة المتزامنة بين الدين والسياسة، فمثلا في فترة العلامة الحلي(قدس) الذي كان له مدرسة متجولة، حيث كان يحرك الطلبة معه في المدن والبلاد بكل سهولة، وقبله الشيخ الطوسي(قدس) وتلامذته الكبار الذين انتشروا في آفاق العالم الإسلامي في الشرق والغرب، وكذلك في زمان السيد المرتضى(قدس) ، وفي الفترة التي سبقت الشيخ الأنصاري(قدس) في زمن المرحوم كاشف الغطاء، حيث كانت الحوزات العلمية آنذاك مؤثرة في التحولات الجارية في حياة الناس، ومن ثم تلامذة الشيخ الأنصاري كالميرزا الشيرازي ومن بعده الآخوند وسائر العلماء، وحتى اليوم فإن للحوزة العلمية تأثيرا كبيرا في المسائل السياسية(١).

٤- إن هدف الحوزة العلمية هو إعداد جيل من المجتهدين في كل وقت ليتمكن مثل هؤلاء المجتهدين من استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، وتلك الأدلة بحسب المعتقد الإمامي هي: الكتاب الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع، والعقل(٢) وذلك بحسب ما جاء في قوله تعالى (..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٣) فقد رسمت الآية ثلاثة أهداف،هي:

أ- الهدف الابتدائي (ليتفقهوا)

ب- الهدف النهائي(لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم)

ج- الهدف الأعلى(لعلهم يحذرون)

فالآية تتضمن دعوة إلى كل طائفة من كل فرقة ومنطقة أن ينفروا للتفقه في الدين، ثم الرجوع إلى أوطانهم ليبلغوا ما تعلّموه من الدين إلى أهلهم(٤).

و إن تحقيق هذا المستوى يتطلب استيعاب الطالب علوم اللغة العربية من مفردات اللغة والنحو والصرف والبلاغة.

وإذا سايرنا الحركة العلمية في دراسات الحوزة الشريفة وجدناها منذ سنة ٤٤٨هـ على يد الشيخ الأكبر أبي جعفر الطوسي (٤٦٠هـ) وحتى عصرنا الحاضر نجد فيه أن الدرس الحوزوي يبدأ بالنحو العربي والصرف والمعاني والبيان وهي علوم العربية الممهدة لدرسي الفقه والأصول في عملية الاجتهاد والاستنباط الفتوائي ولا يمكن بأي حال من الأحوال للمجتهدين والفقهاء أن يتمرسوا بحياتهم العلمية دون إتقان اللغة العربية بخصائصها

الجزئية ودقائقها ومختلف وجوهها ليتمكنوا من فهم النص الشرعي قرآنا أو حديثا حقيقة أو مجازا ، وبذلك تتفرع الأحكام الشرعية في الوجوب والحرمة والكراهة والاستنباط بالنظر إلى صيغ اللغة العربية في الأمر والنهي والتأكيد والعوامل الأخرى (٥) .

وكذلك علوم القرآن والتفسير من أجل فهم الكتاب الكريم فهما يؤهل المجتهد للاستنباط ، ويعتبر التفسير من أدق وأشق الأعمال ، لأنه يتعامل مع كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٦) وعلى الرغم من كون التفسير أمرا صعبا إلا أنه أمر ضروري ومهم لفهم القرآن ، قال تعالى :(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ) (٧) وقوله :(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (٨) ، يقول السيد الخوئي :(وفي هذه الآية توبيخ عظيم على ترك التدبر في القرآن) (٩) ولعل أحد أسباب الحاجة إلى التفسير هي إن القرآن الكريم نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلسان عربي في زمن أفصح العرب ، حيث كانت سليقتهم متسقة ومداركهم متفتحة وكان أمر إدراك القرآن لا يحتاج إلى كثير عناء ، فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ، أما دقائق باطنه والتي كانوا يقفون أمامها في بعض النصوص ، فكانوا يرجعون فيها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيكشف لهم ما دقّ عن إفهامهم ، ويوضح لهم ما خفي عن أذهانهم . قال تعالى :(.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (١٠).

وقد ظل المسلمون على هذا الحال يفهمون القرآن على حقيقته وصفائه ، حتى تقادم الزمن بهم واختلطوا بغيرهم ، ودخل فيهم من ليس منهم حتى تلكأت مهارات العربي وضاعت مميزات العروبة وفقد ملكة البيان . ومن هنا فقد جاءت أهمية التفسير وعظمت عما كانت عليه سابقا وذلك لإعادة مناخ الفهم وحياة اللغة والتبصر بالدقائق(١١).

ففي رواية عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يقول :(..واعلموا رحمكم الله :أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم ..فليس بعالم القرآن ولا هو من أهله . ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدعٍ بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفترٍ على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنم و بأس المصير) (١٢) .

ويعتبر الإمام علي (عليه السلام) أول من أشار إلى علوم القرآن فقد تحدث عما خلفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:(... وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممهم ـ إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ، ولا عمل قائم ـ كتاب ربكم ، مبينا حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصه وعامه ، وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه، مفسرا مجمله ، ومبينا غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق علمه ، وموسع على العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخه ، وواجب في السنة أخذه ، ومرخص في الكتاب تركه ، وبين واجب بوقته ، وزائل في مستقبله ، ومباين بين محارمه

، من كبير أوعد عليه نيرانه ، وصغير أرصد له غفرانه ، وبين مقبول في أدناه ، وموسع في أقصاه) (١٣)

عند إمعاننا للنظر في هذه العبارات نجد أن فيها تقسيما عجيبا وفريدا ، لم يسبق إليه من ذي قبل ، وقد أشار إليه أرباب الصناعة بعد زمان ، فكان الإمام علي (عليه السلام) هو الواضع لأسس هذه العلوم والمبتكر لاصطلاحاتها ، وهذه المصطلحات عند الإمام علي (عليه السلام)هي :

١- الحلال والحرام.

٢- فضائله وفرائضه .

٣- ناسخه ومنسوخه.

٤- رخصه وعزائمه.

٥- خاصه وعامه.

٦- عبره وأمثاله.

٧- مرسله ومحدوده.

٨- محكمه ومتشابهة.

٩- ما لا يسع أحدا جهله.

١٠- ما حكمه مذكور في الكتاب منسوخ بالسنة(١٤)

ولا يخفى على عاقل أن تحصيل علوم القرآن وتفسيره يستند إلى فهم وتدبر في أصول اللغة العربية وآدابها ، لذلك تعد اللغة مقدمة للتفسير.

كما أن فهم (الحديث) يتطلب العلم بعلوم اللغة العربية فضلا عن علوم الحديث لا سيما تراجم رجال الحديث ، على أن لا يعتمد _ كمجتهد _ الى تصحيح الآخرين للحديث ، بل يبحث بنفسه عن تراجمهم ليكوّن عن كل واحد منهم رأيا مستندا الى قناعته الذاتية .

أما متطلبات حصول (الإجماع) أو عدمه على المسألة الشرعية ،فيتطلب مراجعة فتاوى جميع الفقهاء السابقين والمعاصرين وآرائهم.

وأما دليل (العقل) فيتطلب دراسة علم المنطق لمعرفة الأقيسة الصحيحة من المغالطات والملازمات العقلية وغيرها.

وهناك علم آخر أساس لكل استنباط فقهي ، وهو علم أصول الفقه، المتكفل بدراسة كيفية استنباط الحكم من مصادره ودراسة القواعد التي يعتمدها الفقيه لكل عملية استنباط.

كما أن هناك مسألة أخرى تتصف بها الدراسة الحوزوية إضافة إلى إعداد الطالب لبلوغ مرحلة الاجتهاد هي عدم اشتراط مستوىً علمي في من يريد الانتساب للحوزة، إذ يمكن أن ينتمي للحوزة من لا يجيد إلا القراءة والكتابة، وممكن أن ينتمي إليها الأستاذ الجامعي.

المبحث الثاني: المراحل الدراسية في الحوزة العلمية

تبين للبحث أن مفردات المنهج الدراسي الحوزوي في النجف إنما تبدأ بالطالب من نقطة الصفر حتى توصله ـ إذا كان مجداً ـ إلى مرحلة الاجتهاد،وفق المراحل الثلاث: المقدمات،السطوح،البحث الخارج. ولكل مرحلة من تلك المراحل كتبها، وسوف يختص البحث بدراسة مرحلة المقدمات كونها المرحلة التي تدرس فيها علوم اللغة العربية، والتي سيعرضها البحث وفق الآتي(١٥) :

المرحلة الأولى: دراسة المقدمات

يقتصر الطالب في هذه المرحلة على دراسة النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض والمنطق والفقه وأصول الفقه،وبعض النصوص الأدبية.

والكتب الدراسية المتعارف عليها في هذه المرحلة هي:

أـ في النحو والصرف:

١ـ الأجرومية لمؤلفها أبي عبد الله الصنهاجي (٧٢٣هـ). وهو كتاب يبتدئ به الطالب بدراسة المرفوعات والمنصوبات، وهذا الكتاب كان أساس الطلبة في الحوزة العلمية، وقد علّق عليه وشرحه الكثير من العلماء.

٢ـ قطر الندى وبل الصدى لابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد(٧٦١هـ)

٣ـ ألفية ابن مالك وهي أرجوزة في النحو، نظمها محمد بن عبد الله بن مالك الطائي(٦٧٢هـ).

وقد شرح هذه الأرجوزة أكثر من شارح ، وقد يختار بعض الحوزويين ـ أساتذة أو طلبةـ شرح ابن الناظم، فيما يختار آخرون شرح القاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني(٧٦٩هـ).

وللتوسع في دراسة المصطلحات النحوية يدرس بعض الطلبة كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب).

ب ـ علم البلاغة والمعاني والبيان: وهو ما حاول الباحث الوقوف عنده في هذا البحث. والدراسة فيه على مرحلتين:

١- الأولى: وتتمثل بكتاب(مختصر المعاني) لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(٧٩١هـ). ويعرف هذا الكتاب أيضا بـ (شرح تلخيص المفتاح) أو(اختصار شرح التلخيص)،وله شروح كثيرة وطبعات كاملة أو مختصرة، وهذا الكتاب هو شرح لكتاب (تلخيص مفتاح العلوم) للخطيب القزويني(٧٣٩هـ)، ذلك الكتاب الذي وصفه البلاغيون بأوصاف أفصحت عمّا احتواه من علوم العربية في النحو والصرف والبيان والمعاني.

وكتاب (تلخيص المفتاح) تلخيص للقسم الثالث من كتاب(مفتاح العلوم) للسكاكي(٦٢٦هـ) الذي يتألف من ثلاثة أقسام:

الأول: خاص بالصرف وفقه اللغة، لأن تأسيس الجملة العربية ينبني على الصرف وفقه اللغة ومن ثم النحو.

الثاني: خاص بالنحو.

الثالث: متعلق بعلمي المعاني والبيان، ولم يسمِّ البديع علما وإنما جعله ملحقا وسمّاه(وجوه تحسين الكلام) (١٦)

ثم رأى أن تلخيصه لقسم من كتاب جعله محدود وموجز فألف كتابه(الإيضاح) وفيه تفصيل ، وهو ليس شرحا للتلخيص وإنما هو كما قال عنه: (جعلته كالشرح له)؛ لأنه قدّم وأخر، وبدّل وغيّر، وطعّمه بتحليلات الجرجاني(٤٧١هـ) واستنباطات الزمخشري(٥٣٨هـ) في الكشاف،وضوابط السكاكي، وأضاف شيئا من منطقه وتحليلاته، فكان كتابا منهجيا في تناوله، قد اعتمدت عليه الكثير من الدراسات المتأخرة المتخصصة في كليات اللغة العربية المتعمقة في تدريس مادة البلاغة لطلبتها.

وعلى الرغم من أن المؤلف واحد ـ الخطيب القزويني ـ لكلا الكتابين(تلخيص المفتاح) و(الإيضاح)، وكان (الإيضاح) متأخرا في تأليفه عن (التلخيص) ؛كونه متنا يتحمل التحليل والتفصيل والتعليل والتحشية، فضلا عمّا تميّز به مؤلفه من منطق وفلسفة أعانته على التقعيد والتشعيب والتسديد في الفروع والجزئيات،وحسن الاستشهادات، لذا استهوى كتاب (التلخيص)الدارسين والباحثين البلاغيين، فاقبل الشراح عليه وجعلوه صلب دراستهم البلاغية المتأخرة(١٧).

ومن بين تلك الشروح التي تناولته (المختصر) و(المطوّل) للتفتازاني، وهما أشهر الشروح وأكثرها تداولا؛ لما فيهما من حسن السبك ولطف التعبير.

٢- الثانية: وتتمثل بكتاب(المطوّل) للتفتازاني، وهو من أبرز المناهج التي تدرس في الحوزة العلمية في النجف الاشرف.

ولمكانة هذا الكتاب بين كتب البلاغة، فقد عدّه كبار البلاغيين ثاني اثنين في البلاغة العربية، بعد كتابي عبد القاهر الجرجاني.

ومما يزيد في مكانته ارتباطه بالكتابين الأولين: (مفتاح العلوم) للسكاكي و(تلخيص المفتاح) للقزويني، فهو شرح للثاني ، والثاني اختصار للأول، وعليهما قامت البلاغة علماً ذا أصول وقواعد، كما تبدو أهمية هذا الكتاب من ناحية أخرى في كونه ليس شرحا فحسب، بل فيه مناقشة للكثير من مسائل البلاغة ، وتميّز في الرأي العلمي، وإفادات من كلام الشيخ عبد القاهر والزمخشري، فضلا عن غيرهما من العلماء الذين تظهر أسماؤهم وآراؤهم في صفحات المطوّل وسطوره.

ج ـ في المنطق: وتكون دراسته على مرحلتين

١- الأولى: وتتمثل بكتاب(الحاشية) لملّا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي(٩٨١هـ) وقد استعاض بعض طلبة الحوزة عنه أخيرا بكتاب (خلاصة المنطق) للدكتور عبد الهادي الفضلي.

٢- الثانية: وتتمثل بكتاب (تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية) لقطب الدين محمد الرازي(٧٦٦هـ) وقد استعاض بعضهم عنها بكتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر(١٣٨٣هـ).

د- الفقه: وتكون دراسته على مرحلتين

١- الأولى: تتمثل بدراسة (تبصرة المتعلمين) للمحقق أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي (٦٨٦هـ) أو كتاب (المختصر النافع في فقه الإمامية) للمحقق الحلي أيضا.

وفي السنين الأخيرة جرت العادة على الاستغناء عن دراسة هذين الكتابين في هذه المرحلة والاستعاضة عنهما بمجموعة فتاوى المجتهد الأعلى وزعيم الحوزة العلمية وقت الدراسة، والتي يعبر عنها في الوسط الحوزوي بـ (الرسالة العملية).

٢- الثانية: تتمثل بدراسة كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمحقق الحلي.

ويسعى البعض(١٨) إلى تطوير الدرس الفقهي من حيث العمق،بحيث يكون أكثر عمقا منه في زمن الشيخ الطوسي(قدس)، وذلك بسبب مواجهة الأفكار والنظريات المختلفة والمتجددة. والتعمق عندهم لا

يعني تناول الحواشي والهوامش والزوايا والتعليقات الزائدة، بل هو معالجة المسائل ووضعها موضع التفحص والتحقيق باستعمال الطرق والأساليب الجديدة، ويجد البحث أن هذا هو المتّبع في حوزة النجف العلمية بدون شك.

هـ - الأدب والعروض:

لا يلتزم معظم طلبة الحوزة العلمية في النجف بمنهج دراسي معين فيما يرتبط بالأدب والعروض، وإنما يستحصل الطالب فيها معلوماته عن طريق المطالعة الشخصية.

ففي الأدب يحاول الطالب حفظ شيء من خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، وحفظ بعض قصائد الشعراء الكبار.

أما في العروض فالمهتمون من طلبة الحوزة بهذا العلم دأبوا على دراسته أو مطالعته في كتاب (الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة) للدكتور مصطفى جمال الدين.

إضافة لما تقدم فإن الكثير من الطلبة هناك يمارسون التمرين العملي – بين زملائهم وأساتذتهم – على الخطابة؛ لحاجتهم إليها في إلقاء المحاضرات العامة، أو ارتقاء المنبر الحسيني(١٩).

ولذلك من المناسب جداً القول أن الحوزة العلمية في النجف الاشرف يتخرج منها ثلاث فئات هي:

١- فئة الحوزة الدينية العلمية: وهي التي تعنى بعلوم الشريعة الإسلامية لغرض معرفة العقيدة والفقه، وما يتعلق بهما من العلوم، وهي الفئة التي يترشح منها العلماء والمراجع الدينية.

٢- الفئة التي اتجهت بها الموهبة الأدبية نحو الشعر الذي اتسع لجميع الأغراض، وفي مقدمتها الشعر الوطني والقومي، والشعر الوجداني، والشعر التعليمي، وكذلك كانت تعنى بفنون النثر.

وقد حاز عدد غير قليل من رجال الحوزة الحسنيين بانتسابه إلى فئتين من فئات الحوزة العلمية، فقد كان الحجة السيد محمد سعيد الحبوبي مثلا شاعر الفقهاء وفقيه الشعراء.

وجميع هذه الفئات قد عنيت بعلوم اللغة العربية ، ومارست الشعر وفنون النثر، وقد أُلِع بعضهم بطرائق تدريس اللغة والبحث عن وسائل تيسيرها، ومنهم الشيخ محمد جواد الجزائري(٢٠)

إن البلاغة يدرسها الأدباء والشعراء ولما كانت النجف الاشرف عاصمة الثقافة العربية الإسلامية فكانت تقصدها الوفود الثقافية والجامعية من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، ففكر أدباء النجف بتأسيس(الرابطة العلمية الأدبية) عام ١٩٣١م، فكانت النواة الأولى لميدان الشعر وفن النثر تحيى به المناسبات وتستقبل الوفود وتعبر عن وجهة نظر النجف الاشرف.

ومن ثم قامت (جمعية منتدى النشر) بمجمعها الثقافي وتطورت إلى دراسة حوزوية منتظمة تجمع بين القديم والحديث فأسست (كلية منتدى النشر) في فصول متعددة كان أهمها الشريعة الإسلامية والآداب العربية وفن خطابة المنبر الحسيني.

وكان للصحافة الأدبية في النجف الاشرف الدور الكبير في الوعي الكبير في الحس الديني، فكانت

جريدة(الفرات) للشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي لسان ثورة العشرين في مقالاتها الوطنية وخطبها النارية وتعليماتها للثوار، ومن ثم كانت جريدة الاستقلال اللسان المعبر عن الثورة وصاحبها(المحامي محمد عبد الحسين) وكانت مجلة العلم لصاحبها السيد هبة الدين الشهرستاني أول مجلة علمية ثقافية تصدرها النجف عام ١٩١٠م.

ولعلّ من أفضل مجلات النجف في الحفاظ على أصالة اللغة العربية لصاحبها المرحوم محمد علي البلاغي، صدر منها ستة وستون عددا في ستين مجلدا، في كل شهر مجلد، وكتب فيها قادة الفكر وجبابرة العصر من الأمة الإسلامية المجيدة فكانت بالمستوى الراقي والعلمي المتميز.

وكانت الندوات الأدبية والمهرجانات العالمية والإقليمية مجالا لتباري الشعراء والأدباء والخطباء في معارضة الظلم والطغيان والاستعمار والطائفية والعنصرية، مما احتضنه المراجع العظام احتضانا مزدهرا، ولقد أوعز المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم (١٣٩٠هـ) إلى إقامة الحفلات الجماهيرية في أغلب مناطق الجنوب والفرات الأدنى والفرات الأوسط والنجف وكربلاء والكاظمية في مكافحة النزعات الوافدة والأفكار الهدامة والطائفية البغيضة ، وكان يدعو الشعراء إلى الجهاد في سبيل الله ، واعتبرهم الأداة المعبرة عن مطالب المرجعية العليا وسيادة القانون والمساوات في الحقوق والواجبات.

المبحث الثالث: الدرس البلاغي بين الحوزة والأكاديمية

يحاول البحث في هذا المبحث عقد مقارنة بين الحوزة والأكاديمية فيما يخص الدرس البلاغي.

ولأجل التحقق أكثر في هذا الخصوص ارتأى البحث الالتقاء بأحد الدارسين والمدرسين في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وهو أكاديمي جامعي بمعنى أنه مطّلع على الدراستين معا، وهو الشيخ الدكتور جواد الشيخ أحمد كاظم البهادلي.

وكان كلام الشيخ يحتوي على الآتي:

١- الدرس البلاغي له إطار كما هو شأن أي علم آخر في السعة والضيق.

٢- ما يدرس حوزويا بمرحلة المقدمات يمثل أوسع دائرة في الدرس البلاغي من جهة الاستيعاب للأقسام البلاغية الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، مع الدخول بكل تفريعات المسائل فيها ومحاولة عرض ودفع الإشكالات والتوهمات المطروحة نقدا وتحليلا.

فمن مختصر المعاني الذي هو أول ما يدرس بلاغيا كبداية_ كما ذكرنا سابقا_ وإن اكتفى به بعضهم، فهو أوسع مما يدرسه أعلى مستوى أكاديمي، إذ لا يطرح أكاديميا إلا ما يمثل شطرا من قسم طوال مرحلة مستقلة، ولشذرات ملتقطة فحسب.

٣- إن الطريقة الحوزوية تختلف عن الأكاديمية في العرض، فالأستاذ وإن لم يتعرض للمطولات ككتاب منهجي، إلا أنه لا يترك مطلبا منها إلا ويعرضه في الدرس.

إذ أسلوب العمق ومحاولة الإستيعاب لكل شاردة وواردة تدفعه لعرض المتن أولا، ومن ثم التوسعة إلى كل ما قيل ويقال حول المسألة في الشروح والمطولات، فهو بهذا استنفذ الحد الأعلى لما تحويه هذه المادة من سعة وإن كانت المستويات مختلفة أساتذةً وطلبة.

لكن هذا لا يعني التقصير بأصل الوضع المنهجي بقدر ما هو في إدراك البعد للمطلب العلمي منهما. وهذا أمر نجده واضحا حتى بمثل الدرس الأكاديمي، إذ أن بعض الطلبة يتفاوت مع الآخر، كما أن أستاذ مادة معينة له من أطر المعرفة ما لا تحصل حتى لمن هو أعلى منه درجة علمية.

٤- إن من استوعب كتاب جواهر البلاغة أكاديميا ـ كما كان يطرح في كلية الفقه سابقا للدرس البلاغي كمنهج ـ يعد دارسه مستكملا لمثل هذا الدرس بأوجهه العامة تفصيلا، وهذا وإن يعد درسا في مستوىً عالٍ في الجامعات ، إلا أنه يمثل مرحلة الطالب الحوزوي المبتدأة من جهة، ومن جهة أخرى يعد دارسه الحوزوي قد نحى منحىً مخالفا لأقرانه إذ اعتمد الأسلوب الأسهل والعبارة الأبسط التي لا تليق بالدارس الحوزوي، وميالا للتسهيل. ولعلّه يشار إليه بأنه لم يستكمل حلقته الدراسية البلاغية بشكل أفضل إذ اعتمد على كتاب ما لم يمتلك العمق المطلوب، لذا نجد أن الطالب لا يكتفي بمختصر المعاني فقط من أجل فهمه بدون الاعتماد على مساعد معين ، ولعلّ الأكاديمي منا لم يطلع على بعض مصادر البلاغة بل لا يعرفها وقد تخرج من سنة دراسية كاملة وهي أساس مبتغاه.

٥- العلوم تختلف فيما بينها من حيث الغاية منها، فالدرس الحوزوي يتجه بدرسه للوصول للاستنباط والحكم الشرعي وهذا لابد له من آليات عدة بعضها يعد مقدمة والأخرى الغاية المطلوبة، ولا يعني ذلك أن المقدمة لا تكون من الأهمية بمكان فعدّت مقدمة، بل بواسطتها يتمكن من الوصول إلى الخاتمة، فأهميتها أسبق تطبيقا. فالنحو والرجال والبلاغة والصرف ونحوها أدوات أولى يحتاجها الفقيه وصولا لمجال التخصص المطلوب بالفقه والأصول تحقيقا لغرضه. لذا عدّ بعضهم هذا الترتيب بالسلم الدراسي الحوزوي تجاهلا وإهمالا للبلاغة، ولكنه استوعب المادة بكل أطرها العامة وما يحتاج إليه الدارس وبكل خصوصيات المطالب وصولا إلى الحد الأقصى للإطار العام فيها.

٦- من المسلمات أن الدرس الحوزوي يحتاج إلى ممارسة فيه للتطبيق، وهذا ظاهر في قيام كل من تجاوز المرحلة الدراسية المعينة القيام بتدريسها لمن هو أقل منه مرحلة علمية، وهذا المنهج المتبع حوزويا له مميزات عدة منها القيام بممارسة عملية التدريس بذاتها والتي تكسبه شيئا فشيئا خبرة الأداء تدريجيا، مضافا إلى البقاء بعملية مداولة المعلومة إذ كانت درسا سابقا، واليوم تدريسا، ومعلوم أن التدريس يحتاج مراجعة كاملة من أجل الوقوف والجواب على كل إشكال قد يطرحه الطلبة ليكون الأستاذ ناجحا، وهذا يعطيه العمق الأكثر لا السطحية لأجل معرفة المعلومة المجردة فقط بعيدا عن التحليل.

وإن كانت الدقة الحوزوية قد تصل أحيانا إلى سلبيات من جهة أخرى إذ يأخذ المدرس بكل شاردة وواردة حتى يكون أصل الموضوع شاردا والطلبة في عالم آخر.كذلك الاعتقاد السائد بأنه كلما كانت الكتب الدراسية مكتوبة بعبارات غامضة ومعقدة كلما كان مضمونها العلمي قويا.

فمثلا قول مصنف الكتاب الذي يدرسوه (مقدمة) ، يطنب الأستاذ فيها ويحاول إيجاد حل نحوي وتوجيه معقول كان مقصودا أو لم يكن للمؤلف بقوله هذا. فمما هو معلوم أن النكرة لا يجوز الابتداء بها نحويا إلا إذا كانت هناك مسوغات، فيتسلسل بتبريرات قد يوصلها بعضهم إلى أربع، منها: إنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه مقدمة، أو على تقدير: أبدأ بمقدمة فتكون معمولة فعل محذوف وهكذا.

الخاتمة

من مجموع ما تقدم نخلص إلى أن العلوم بعضها متقدم على بعض وذلك يرجع لأسباب قد تكون راجعة إلى أصل الموضوع، كعلم النحو بالنسبة إلى البلاغة، أو لتقدم غايته كعلم الكلام، فإن موضوعه وهو المبدأ والمعاد... أشرف الموضوعات وغايته وهي معرفة أصول الدين من أجلّ الغايات، لذا سمي بالفقه الأكبر، وأما من جهة اشتماله على مبادئ العلوم المتأخرة كقسم ثالث كالمنطق بالنسبة إلى ما عداه من العلوم، أو لحيثيات أخرى غير ما ذكر مثل علم النجوم المقدّم على غيره من جهة زمان التأسيس، بمعنى أنه كان متعارفا بين الناس في زمان لم يكن فيه من علم الأصول مثلا اسم ولا ذكر.

ومرتبة علم الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية(٢١) ، متأخرة عن غيره من العلوم بالاعتبار الثالث المتقدم، لافتقاره إلى ساير العلوم واستغنائها عنه.

أما تأخره عن علم الكلام ؛ فلأنه يبحث في هذا العلم عن كيفية التكليف، وذلك مسبوق بالبحث عن معرفة نفس التكليف والمكلف، كمعرفة حقيقة الوجوب والحرمة، وكمعرفة البارئ تعالى ، وهاتان المعرفتان إنما تحصلان في علم الكلام فهو سابق على الفقه.

وأما تأخره عن علم الأصول فظاهر، لأن هذا العلم ليس حروزيا_ بديهيا_ بل هو محتاج إلى الاستدلال، وعلم أصول الفقه متضمن لبيان كيفية الاستدلال.

ومن هنا يظهر وجه تأخره عن علم المنطق أيضا؛ كونه متكفلا لبيان صحة الطرق وفسادها ، فبعلم المنطق يعلم صحة استدلال الفقيه بحرمة الخمر مثلا بقوله: حرمة الخمر مما دلّ عليه الخبر، وكل ما دلّ عليه الخبر فهو حق، فحرمة الخمر حق، وهذا قياس من الشكل الأول من أنواع الأقيسة الأربعة(٢٢).

وأما تأخره عن علم اللغة والنحو والتصريف وكذا البلاغة، لأن من مبادئ هذا العلم الكتاب والسنة واحتياج العلم بهما إلى العلوم هذه ظاهر إذ ابتنى القرآن الكريم في إعجازه على دعائم عدة منها: بلاغته وأسلوبه الذي يتوقف معرفة لحن خطابه فيه على مقاصد الشارع البلاغية التي خاطب بها تلك البيئة البليغة في عصرها، والمراد منه الاستمرار لكل عصر، وها نحن لم نعرف المقصود القرآني

بسليقتنا كما كان في العصور الأولى لبعدنا.. ودخول اللغات الأخرى نتيجة تداخل الثقافات والفتوحات ونظائر ذلك.

مضافا إلى ذلك فإن الكتاب والسنة كونهما عربيين فيحتاج العلم بهما إلى معرفة أوضاع مفردات الألفاظ ومركباتها وكيفية جواهر الكلمات وهيئاتها لتمتاز الحقائق في مجازاتها والاشتراك والحذف إلى غير ذلك، وكل ذلك يعلم من العلوم المذكورة.

وبهذا فالدرس البلاغي نظرا لسياقه عند الطالب الحوزوي في مدرسة النجف وغيرها لم يهمل وإنما له مدى وسعة استوعبت في ظرفها المقرر لها انطلاقا لتخصص أعمق هو غاية الدارس، لا يعني ذلك اهمالها أخيرا.

الهوامش

١- علي الخامنئي/الحوزات العلمية وتطوير البرامج والخطط التعليمية/مجلة فقه أهل البيت/عدد٣٥ /١٥٠-١٥١

٢- ظ: المظفر/أصول الفقه/٣/٤٥-١١٢+ محمد تقي الحكيم/ الأصول العامة للفقه المقارن/٩٣- ٢٨٦

٣- التوبة: ١٢٢

٤- ناصر مكارم الشيرازي/ حوارات في التجديد المنهجي للدراسات الحوزوية / مجلة فقه أهل البيت /عدد٣٥ / ١٦٩-١٧٠

٥- ظ: محمد حسين الصغير/أصالة النجف في الحفاظ على سلامة اللغة العربية/بحث المؤتمر العلمي الرابع لكلية الفقه/١٧

٦- ظ: محمد باقر الحكيم/تفسير سورة الحمد/كلمة المؤلف

٧- ص:٢٩

٨- محمد:٢٤

٩- الخوئي/البيان/٣٦

١٠- النحل:٤٤

١١- ظ: الطبرسي/مجمع البيان/٢٣/١ + السيوطي/الإتقان/نوع ٧٧ /٥٧٠ + الزرقاني/مناهل العرفان/٦/٢ +محمد حسين الصغير/ المبادئ العامة /٢٦

١٢- المجلسي/ بحار الأنوار/٤/٩٠ + الشاهرودي/ مستدرك سفينة البحار/٢٠٠/٨

١٣- ابن أبي الحديد/شرح نهج البلاغة/١١٦/١

١٤- ظ: م.ن/١٢٠/١ -١٢٢ + محمد عبده/شرح نهج البلاغة/٢٥/١_٢٦

١٥- ظ: علي البهادلي/الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية

١٦- ظ: التفتازاني/المطوّل/٦٥٢

١٧- ظ: حاجي خليفة/كشف الظنون/٤٧٤

١٨- ظ: علي الخامنئي/ الحوزات العلمية وتطوير البرامج والخطط التعليمية/مجلة فقه أهل البيت/عدد١٥٣/٣٥

١٩- لقاء خاص مع الأستاذ المساعد الشيخ الدكتور جواد الشيخ أحمد البهادلي/ شيخ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف

٢٠- ظ: محمد كاظم البكاء/ تطور الدرس اللغوي في الحوزة العلمية/ مؤتمر دور الحوزة العلمية في الحفاظ على أصالة اللغة العربية

٢١- ظ: محمد تقي الحكيم/الأصول العامة للفقه المقارن/٣٦

٢٢- ظ: المظفر/المنطق/٢٠٠-٢٠١

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

• التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر (٧٩٢هـ)

١- المطوّل، ومعه حاشية العلامة السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) / تصحيح وتعليق: أحمد عزو عناية/ط١/ دار إحياء التراث العربي/ ١٤٢٥هـ

• جواد الشيخ أحمد كاظم البهادلي

٢- لقاء خاص حول أهمية الدرس البلاغي وتطوره في الحوزة العلمية

• حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله(١٠٦٨هـ)

٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/مطبعة وكالة المعارف/استانبول/١٩٣٤م

• ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)

٤- شرح نهج البلاغة / تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم / طبع : منشورات مكتبة المرعشي

• السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن(٩١١هـ)

٥- الإتقان في علوم القرآن/ ضبط وتصحيح وتخريج: محمد سالم هاشم/ط١/دار الكتب العلمية/١٤٢٥هـ/ بيروت

•الشاهرودي: علي النمازي

٦- مستدرك سفينة البحار/ تحقيق: حسن بن علي النمازي / ١٤١٩هـ

•الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن(٥٤٨هـ)

٧- مجمع البيان في تفسير القرآن/تحقيق لجنة من العلماء والمحققين/ط١/١٤١٥هـ/نشر:مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/بيروت

• علي أحمد البهادلي

٨- الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية/ ط١/دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت/١٤١٣ هـ

• علي الخامنئي

٩- مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) /العدد ٣٥ / السنة التاسعة / ١٤٢٥هـ

• أبو القاسم الخوئي(١٤١٣هـ)

١٠- البيان في تفسير القرآن/مطبعة العمال المركزية/١٤٠٩هـ

• المجلسي:محمد باقر(١١١١هـ)

١١- بحار الأنوار/ط٢/مؤسسة الوفاء/١٤٠٣هـ

• محمد باقر الحكيم (١٤٢٤هـ)

١٢- تفسير سورة الحمد/ط١/ليلى/١٤٢٠هـ

• محمد تقي الحكيم

١٣- الأصول العامة للفقه المقارن/ط٤/١٤٢٢هـ/ بيروت/المؤسسة الدولية للدراسات والنشر

• محمد حسين علي الصغير

١٤- أصالة النجف في الحفاظ على سلامة اللغة العربية/ مؤتمر دور الحوزة العلمية في الحفاظ على أصالة اللغة العربية/ ١٧-٢٠٠٩/٥/١٨ /كلية الفقه

• محمد رضا المظفر(١٩٦٤م)

١٥- أصول الفقه/ ط١٣/نينوا/ نشر اسماعيليان/ ١٤٢٥هـ

١٦- ا لمنطق / ط ٣ /١ سر و ر / نشراسماعيليان/١٤٢٦هـ

• محمد عبد العظيم الزرقاني

١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن/تحقيق: أحمد شمس الدين/ط٢/دار الكتب العلمية/بيروت/١٤٢٤هـ
• محمد عبدة
١٨- شرح نهج البلاغة/نشر دار النهضة/بيروت
• محمد فؤاد عبد الباقي
١٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / نشر: آوند دانش / طهران
• محمد كاظم البكاء
٢٠- تطور الدرس اللغوي في الحوزة العلمية/ مؤتمر دور الحوزة العلمية في الحفاظ على أصالة اللغة العربية/ ١٧-٢٠٠٩/٥/١٨ /كلية الفقه
• ناصر مكارم الشيرازي
٢١- مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) /العدد ٣٥ /السنة التاسعة / ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم